

سلسلة  
المنظمة السرية  
و اللوحة المفقودة  
الجزء الثاني

تأليف

اسلام  
الهاشمي الحامدي



المنظمة السرية  
الجزء الثاني

اسلام  
الهاشمي الحامدي



\*\*\*

\*\*\* في أوقات المحن تظهر معادن البشر ، منهم من يضحي بحياته من أجل قضية ما ومنهم من يسعى خلف مصالحه الشخصية . \*\*\*

\*\*وحده الزمن قادر على كشف حقيقة البشر .\*\*

\*\*\*

\*\*\*

نيويورك، داخل المعبد الماسوني...

كانت المراسم الملكية على وشك البدء في القاعة الكبرى، حيث تهيمن الأرضية باللونين الأبيض والأسود. كانت الكراسي مرتبة بشكل مربع حول الكرسي الذهبي الكبير، وأمامه ثلاثة أعمدة صغيرة نحاسية تحمل شعالات نارية. كان الحضور يملأ المكان، بشخصيات عامة ومشهورة، ووزراء دول ورجال أعمال. الجو كان خانقًا بسبب كثافة الحضور، ورائحة العطر كانت تطفئ على المكان.

تقابل بيور وأندروماليوس، هؤلاء القدامى، الملائكة الذين سقطوا من السماء. كان بيور بحكمته وفلسفته يجذب الجميع حوله ويتحدث عن التحديات التي تواجه الكوكب، من ارتفاع درجات الحرارة وندرة المياه وقلة الموارد، وسط مجموعة صغيرة من صفوة العالم.

كان بيور يمسك بكأس طويل، ويقف حوله مشاهير العالم يستمعون له باهتمام وهو يقول: "يا سادة، إن الكوكب يمر بظروف استثنائية، ولا عيب في نجاة صفوة العالم. أنتم من تملكون المال والأعمال والصحافة والاقتصاد العالمي. نحن نتمنى أن ينخفض عدد سكان الكوكب، حتى توزع الموارد بشكل صحيح على من يستحقها."

همس أحد الحضور في اذن صديقه قائلا: " هذا الشيطان وأعوانه فعله كل هذا . " سمعه بيور وأكمل حديثه دون تعقيب . بنظره خاطفه .

أندروماليوس، بطبعه الحاد، كان يعشق الحروب ورائحة الدماء. وهو أحد مصممي الأسلحة الفتاكة في العالم التي تمتلكها أقوى جيوش العالم التابعة لحلف الناتو. كان جنرالات العالم يلتفون حوله، يصافحونه بحرارة ويستمتعون باهتمامه. كان

ممتلئ الجسم كعادته وسمين، وقال وهو يشير بيديه أثناء الحديث: "يا قادة الجيوش، لا يعيبكم إذا عملت أجهزة المخابرات في زرع الفتنة في إفريقيا وآسيا والوطن العربي. لديهم الكثير من الخيارات، دعوهم يتحاربون فيما بينهم وأنتم تشاهدون، حتى تنهك قواهم ويدمرون تاريخهم وبلادهم ويقتلون أسرهم، ثم تدخلون لتحصلوا على التاريخ العريق أولاً، ومن ثم الموارد الطبيعية. مع خنق الدول الكبرى اقتصادياً وعسكرياً، نحصل على نصيب الأسد. سأطلعكم على بعض الأسلحة التي قمت بابتكارها، بالطبع بغير الأسلحة الكيميائية."

تعالت ضحكاته مع جملة الأخيرة، وتعالت ضحكات الجميع وهم يستمعون إلى خطط شيطانية بنجاح.

\*\*\*

داخل غرفة الأستاذ الأعظم...

غرفة كبيرة مظلمة، يضيء ضوءها الخافت طابعاً من الغموض والأسرار. كان المعلم الأعظم يجلس أمام مرآة كبيرة مضاعة بالشموع، وكان الأستاذ الأعظم من الزواحف، والمقربين له من الرماديين الجوف أرضيين، يرتدون أقتعة بشرية، ويضعون للأستاذ الأعظم وجهاً بشرياً.

طرق الباب، فأمر بالدخول. دخل بيور وأندروماليوس منحنين في ولاء تام. نظر إليهما الأستاذ الأعظم بعينه غير البشرية وقال: "مرحبا بكم، كيف حالكم؟"

أشار بيور بيده وهز أندروماليوس رأسه قائلين: "سيدي، ننتظر التعليمات."

انتهى الرماديون من تركيب القناع البشري وهم ينظرون إلى الوافدين الجدد. قام الأستاذ الأعظم، ورفع يديه ليقوم الرماديون بإدخال يد بشرية لتغطي يد الزواحف وقال: "هناك لوحة فنية نادرة في مصر نريد الحصول عليها في أسرع وقت، فهي تمتلك الكثير من الأسرار والرموز والرسائل منذ دخول الرومان إلى مصر وحتى وقت الإسكندر الأكبر."

قال أندروماليوس بحماس وهو يهتز: "سيدي، نحن نملك قوى غاشمة، لماذا لا تسمح لنا بدك حصون الأعداء؟"

فقال الأستاذ الأعظم بهدوء: "لقد خضنا كثيراً من المعارك الفكرية وانتصرنا. جعلنا الشعوب استهلاكية، استبدلنا الطاقة النظيفة والنحاسية وأبر استقبال الطاقة التي كانت تستخدمها حضارة تاراتاتا بطاقة تسحب طاقتهم وتدمرهم. استبدلنا ملابسهم القطنية بالبوليستر، وجعلنا لهم أدوات منزلية تدمر خلاياهم وتنهك قواهم، وجعلنا شوارعهم ساخنة وقطعنا الأشجار العملاقة. وضعنا السم في الطعام والشراب، وأنت تقول هذا؟ نحن نسير في الطريق الصحيح، يا أندروماليوس."

احمر وجه أندروماليوس وهز رأسه في خجل. نظر بيور له في طاعة وأردف قائلاً: "نعم سيدي، يكفي أننا سرقتنا طاقة الهرم وأبطلنا مفعوله، وأخفينا عليهم جبل قاف وحضارات ما خلف الجدار، وأخفينا عليهم تكنولوجيا القدماء وجعلناهم حمقى أغبياء، بواسطة عقاقير طبية ولقاحات تضعف مناعة الجسم لتتهيئ لما هو قادم."

رسم الأستاذ الأعظم ابتساماً خفيفة على وجهه وأردف قائلاً: "اقتربنا من حلمنا، المليار الذهبي، بعد حروب وأوبئة ومجاعات، ورفع حرارة الجو، اقتربنا ولكن ينقصنا بعض التفاصيل الهامة."

فأردف أندروماليوس ببلاهة: "سيدي، ماذا ينقصنا؟"

قالها الأستاذ الأعظم بغضب وصوت عالٍ: "أحضروا لي تلك اللوحة."

انصرف بيور وأندروماليوس وهما يتخبطان. قال أندروماليوس وهو يسير بجانب بيور: "اللعنة، أنا لا أتذكر تلك الحقبة."

ابتسم بيور قائلاً: "سوف أجعلك تتذكر." وضع بيور يده على رأس أندروماليوس، فأزهقت عيناه وابتضت، وخرجت شحنات كهربائية من عينيه وجسده، بينما غطى اللون الأسود عيني بيور.

تبدأ ذاكرة أندروماليوس بالعودة إلى الحقبة التي نُقلت فيها اللوحة الفنية من مصر. كان ذلك في زمن الرومان، عندما دخلوا مصر واستولوا على الكنوز والأسرار القديمة. اللوحة التي يبحث عنها الأستاذ الأعظم كانت مخبأة في معبد سري تحت رمال الصحراء. اللوحة تحتوي على رموز غامضة تكشف عن أسرار الحضارات القديمة، والتكنولوجيا المتقدمة التي استخدموها لاستغلال الطاقة النظيفة والنحاسية.

يعود بيور وأندروماليوس إلى ماضيهم ليكتشفوا المزيد عن تلك الحقبة. يتذكر أندروماليوس المعارك التي خاضوها لحماية الأسرار من الرومان والمكاند التي حيك لإخفاء اللوحة عن أعين الأعداء. كانت اللوحة تحمل أسرار تكنولوجيا القدماء، وكيفية استخدام الطاقة النظيفة والنحاسية بطرق تفوق الخيال.

الآن، يشرع بيور وأندروماليوس في مهمة خطيرة للعودة إلى مصر، لاكتشاف المعبد السري واستعادة اللوحة قبل أن تقع في الأيدي الخاطئة. تلك اللوحة يمكن أن تكون المفتاح لتحقيق حلم الأستاذ الأعظم والسيطرة الكاملة على الطاقة والتكنولوجيا القديمة.

\*\*\*

\*\*\*

في ظلام الليل الساحر لمدينة القاهرة القديمة، تتراقص أضواء الشموع بأنوارها الدافئة على جدران المتحف القومي، كأنها تحمل بين ضلوعها أسراراً قديمة لم تكن يوماً مفتوحة للعن. قاعة الفن الروماني القديم تنبض بالحياة، حيث تستند لوحة فنية معروضة بفخر على جدارها، الألوان فيها تروي قصة حضارة عابرة للزمان، وكل رمز ينطق بلغة مفقودة يبعث على التأمل والدهشة.

لم تكن اللوحة مجرد قطعة فنية، بل هي تحمل في طياتها رموزاً مشفرة وتنبؤات غامضة، تمنعت عن العالم لمئات السنين. حكومة مصر رفضت مراراً وتكراراً بيعها، لكن هذا لم يمنع منظمة سرية من التسلل إلى أروقة المتحف النائمة في الليل للإطاحة بها.

أسرار الماضي تتجلى في أضواء الشموع، وكأنها تدعو بالصمت لمن يفهمها، وفي تلك اللحظة، بينما يلتفت العالم إلى مشاهدة الفن الجميل، تخترق أيادي مظلمة الظلام لتحاول استحضار ما هو ممنوع، ما هو خارج عن سيطرة الزمان والمكان.

\*\*\*

\*\*\*

في صيف عام ٢٠٠٠، على شاطئ البحر تحت الشمس الحارقة، كانت نسيمات الصيف الساخنة تبث الخمول في المصطافين الذين احتشدوا تحت شمسيات كبيرة تحمل إعلانات للمشروبات الغازية. الأطفال كانوا يلعبون ويستمتعون في البحر بينما تتلاطم الأمواج الهادئة.

تحت إحدى الشمسيات، كان المحقق نادر بكار يجلس يستمع إلى الراديو ويمسك بمذكراته. أخذ نفساً عميقاً من سيجارته وأخرج الدخان ليتطاير في الهواء وهو يكتب في مذكراته: "رحلت عني نهي عابدين وأنا عاجز عن الانتقام."

فجأة، بث الراديو خبراً عاجلاً: "قام اللصوص بسرقة لوحة فنية نادرة تعود إلى عصر الرومان من داخل المتحف القومي، وجاري البحث عن الجناة."

أمعن نادر بكار النظر في الراديو، متأملاً، يتساءل من كان خلف هذا الحادث المروع. قرر نادر جمع أغراضه وقطع إجازته، ثم انطلق بسيارته مسرعاً، عانداً إلى القاهرة للتحقيق في القضية.

\*\*\*

في أعماق التاريخ، عند تقاطع الحضارات العظيمة، تقع مصر، الجوهرة الثمينة للإمبراطورية البيزنطية. أرض النيل، بمزارعها الخصبة وغناها، كانت محط أنظار العديد من الغزاة والطامعين على مر العصور. تحت حكم الرومان، عاش المصريون سنوات طويلة من الضغوط والاضطرابات، محاولين التكيف مع نظام جديد وضراب قاسية، بينما يرزحون تحت وطأة الصراعات الدينية بين المسيحيين الأرثوذكس والحكام البيزنطيين.

في ظل هذه التحولات، بدأت الأحداث تأخذ منعطفاً جديداً. سقوط مصر في يد الرومان كان نتيجة لعدة عوامل، منها الصراعات الداخلية والضعف السياسي للأسرة البطلمية التي حكمت البلاد لمدة حوالي 300 عام بعد وفاة الإسكندر الأكبر. خلال هذه الفترة، أصبحت الإسكندرية مركزاً ثقافياً وعلمياً رئيسياً، لكن النزاعات الداخلية والتحالفات السياسية المعقدة أضعفت حكم البطالمة وجعلتهم عرضة للتدخل الروماني.

في مطلع القرن السابع الميلادي، بدأت رياح التغيير تهب من شبه الجزيرة العربية. كان الجيش الإسلامي الشاب يتوسع بسرعة، ناشراً رسالة الإسلام، ومأملاً في ضم أراضٍ جديدة تحت لوانه. وبينما كانت الإمبراطورية البيزنطية تواجه مشاكلها الداخلية وتهديدات خارجية، لم تكن مصر بمنأى عن هذه العاصفة القادمة.

\*\*\*

مصر القبطية القديمة تحمل تاريخاً غنياً ومعقداً. بعد دخول الرومان، شهدت مصر تحولاً كبيراً حيث كانت معروفة بعبادة العديد من الآلهة مثل آمون ورع، وهؤلاء الآلهة كانوا جزءاً أساسياً من حياة المصريين اليومية والثقافية. مع مرور الوقت، بدأت المسيحية تنتشر بشكل كبير، وتحولت مصر إلى دولة قبطية.

اللغة القبطية هي التطور الأخير للغة المصرية القديمة، لكنها تراجعت تدريجياً بسبب تأثير الحكم الأجنبي. الحكم الأجنبي، سواء كان من الرومان أو العرب، غالباً ما كان يسعى لفرض لغته وثقافته على الشعوب المحلية. هذا أدى إلى اندثار اللغة المصرية القديمة واختفاء الكثير من التراث الثقافي المرتبط بها.



فقدان الهوية الثقافية كان نتيجة مباشرة لهذه السياسات، حيث منع الشعب من التحدث بلغته الأم وأبعد عن تراثه القديم. مع مرور الأجيال، تزايد فقدان الهوية الأصلية، وأصبحت الأجيال الجديدة تعاني من هوية مشوشة نتيجة هذه التغيرات الجذرية في اللغة والثقافة.

\*\*\*

داخل قصر الإمبراطور في نابولي قديماً، كان الإمبراطور الروماني يجلس وسط قادة جيشه، يشربون الخمر ويتابعون مباراة قتالية حامية داخل ملعب ضخم محاط بجمهور متعطش للدماء. كانت زوجة الإمبراطور تجلس بجواره، وعلى الجانب الآخر جلست معشوقته، ليلث. في الخلف، كان بيور وأندروماليوس يراقبان المشهد بصمت.

ارتفعت أصوات المشجعين التي ملأت المكان، مضيئة حرارة على الأجواء برغم البرودة الشديدة. امتلأت السماء برائحة الدماء والجثث المتعفنة، بينما كان القتال الأخير يدور بين ثلاثة رجال وأسد.

همس بيور لأندروماليوس بابتسامة خفيفة قائلاً: "كم أنت رائع يا صديقي القديم، إنها حقاً لعبة مسلية."

ضحك أندروماليوس ضحكة قصيرة تهنئ لها وجنتاه الحمران وقال: "نعم، اخترعت لهم أداة للقتل وسفك الدماء، فأحبوها."

أضاف بيور بصوت خافت: "ذكرني بعد أن تسقط الإمبراطورية بأن نجعلهم يحرقونها. لنا لقاء آخر في زمان ومكان آخر."

نظر أندروماليوس إليه بدهشة قائلاً: "أنت تعلم مدى ضعف ذاكرتي."

تبسم بيور وربت على قدمه قائلاً: "لا تقلق، سأذكرهم بنفسني حين يحين الوقت."

وفي هذه اللحظة، انطلق صوت البوق معلناً نهاية القتال وانتصار الأسد على الرجال الثلاثة. هتف الجمهور بحماس وتصفيق عارم، بينما استدار الإمبراطور نحو بيور وأندروماليوس قائلاً: "ما رأيكما في هذا العرض؟"

ابتسم بيور وقال: "إنه مجرد بداية، سيدي. لدينا خطط أكبر بكثير لمملكته."

\*\*\*

بعد المباراة، نظم الإمبراطور حفل عشاء فاخر حضره عدد كبير من المدعوين. كان القصر يضج بأصوات الحضور، حيث كانت الموسيقى تعزف وأصوات الأحاديث تملأ المكان. جلس الإمبراطور وسط قادة جيشه، يتحدث بقلق عن أحوال مصر والمصريين الذين لم يكونوا راضين عن حكمه ويخشى وحدتهم وانقلابهم. قال الإمبراطور: "مصر في قبضتنا أمر بالغ الأهمية، فهي سلة غذاء الإمبراطورية الرومانية ومصدر لخير الجنود والعتاد."

اقترب بيور من الإمبراطور وتحدث معه بصوت منخفض، بينما كان أندروماليوس يقف خلفه، يراقب المشهد: "سيدي الإمبراطور العظيم، إذا أردت دحر الحضارة المصرية وإنهاءها نهائياً، عليك منعهم من التحدث بلغتهم الأم. بذلك، ستندثر حضارتهم مع مرور الزمن."

استمع الإمبراطور بتمعن إلى نصيحة بيور، فهو وزيره المخلص. مرت ليليث بجانبهم واحتضنت الإمبراطور، واضعة خدها على كتفه. قالت بصوت مليء بالدفع والدلال: "يجب أن تغلق المعابد أيضاً، وتمنعهم من عبادة آلهتهم القديمة."

همس أندروماليوس في أذن بيور بغضب، وجهه يشتعل بالحمرة: "كيف؟! ولكن آمون واحد منا."

نظر بيور إليه بطرف عينه بحدة، ثم اعتدل مبتسماً وقال: "عزيزي أندروماليوس، لكل زمان آلهة نختارها لهم. أهدأ قليلاً."

كان الإمبراطور منهمكاً في مغازلة ليليث، فقال بعد أن شرب من كأسه: "افعل ما يحلو لك."

أخذ الإمبراطور ليليث ودخل معها إحدى الغرف، بينما نظرت إلى بيور بابتسامة، وردها بيور بابتسامة مماثلة، وغمز لها بطرف عينه، معبراً عن رضاه وتأييده.

\*\*\*

داخل أحد المعابد المصرية القديمة، كانت الشمس تتسلل بين أعمدة المعبد المهيبة، تلقي بظلال طويلة على الحراس الرومان الذين يقفون أمامه في حراسة مشددة. كان المعبد، كغيره من المعابد، قد أغلقه الرومان بعد انتشار الدين الجديد.

داخل المعبد المهجور، جلس فنان مصري كهل مقيد اليدين، ملابسه متسخة ويده ملطختان بالألوان، وشعره الطويل يصل إلى أسفل ظهره ولحيته تتدلى إلى صدره. كان يرسم لوحة فنية على ضوء الشموع الخافتة، بينما كانت رائحة المكان الكريهة تملأ الأرجاء، وأجساد الكهنة المتعفنة ترقد في زوايا المعبد.

اهتزت شعلة الشموع عند دخول بيور من الظلام، وخلفه أندروماليوس وليليث. نظر الفنان إليهم بعيون باهتة ويد مرتعشة. انحنى بيور قليلاً وقال بإعجاب: "رائعة مثلك، حابي."

ثم اعتدل في وقفته. أمعت ليليث النظر قليلاً وقالت بصوت دافئ: "كل شيء رائع في حابي."

نظر بيور إليه بابتسامة، ورأسه مائل قليلاً ويدها مرتفعتان بجانب خصره. اتسعت عينا أندروماليوس في تعجب وقال: "حقاً."

هز بيور رأسه بالموافقة بابتسامة هادئة، بينما كانت ليليث تقف بجسد مائل بدلال وإغراء. نظر إليها حابي بعيون تلمع بدموع الندم، وألقى بريشته وألوانه بقدمه المقيدة، ثم قام بغضب وظهره منحني وقال: "تبا لك وتبا لهم، أيتها الشيطانية اللعينة، أغويتني ووقعت في أسرك."

رفع بيور يده وبسحره جعله ينحني أمامهم وهو يصرخ من شدة الألم، وقال بصوت عالٍ: "هل وقعت على عقدك وبعثت روحك لها؟"

أجاب حابي بصوت مخنوق وألم لا يوصف: "نعم."

ضحك أندروماليوس ضحكة ساخرة وأشار له بالجلوس، فأجلسه بيور وقال بصوت هادئ: "أنت لا تدري، أنت تصنع التاريخ يا هذا. لوحتك الفنية تحوي على رموز وشفرات، من يملكها يملك العالم."

رد حابي وهو يبكي ويمسك بريشته تحت تأثير سحر بيور: "لا.. لا أريد شيئاً، أريد أن أكون حراً."

قالت ليليث بصوتها الدافئ: "حابي حبيبي، أوشكت على الانتهاء."

أنهى حابي لوحته، فقال له بيور بصوته الهادئ بعد أن رفع عنه السحر: "أندروماليوس."

نظر إليه أندروماليوس وفمه يتحرك وهو يأكل المقرمشات وقال بصوت عابر: "نعم."

أمال بيور رأسه وهو يمعن النظر في حابي: "دعه يصبح حراً."

ضحك أندروماليوس ضحكة عابرة وقال: "أحب سماع تلك الكلمة منك، حسناً."

اختفى بيور ولييث في الهواء، بينما دب الرعب في قلب حابي الذي ظل يصرخ ويستغيث ويذحف على الأرض مبتعداً عن أندروماليوس الذي كان يتقدم نحوه بخنجر في يده. قال أندروماليوس وهو يتقدم بخطوات بطيئة: "هل تعلم قصة هذا الخنجر؟ كنت قد أهديته إلى أحد الملوك، وعندما عصاني، تحولت إلى فرس النهر وقتلت رجاله وسحبت الخنجر منه وطعنته. نعم، كان خنجر توت عنخ آمون."

دوت صرخة الفنان المصري القديم، معلنة انتهاء آخر فنان مصري وانتهاء عصر الكهنة واللغة المصرية القديمة.

\*\*\*

\*\*\*

داخل سوق منف الكبير، بجوار الأهرامات الشاهقة التي تشهد على تاريخ مصر العريق، كان السوق يعج بالحركة والحياة. المارة يتجولون بين الدكاكين المزدهمة، بعضهم يبيع والبعض الآخر يشتري، بينما يحمل آخرون بضائعهم على ظهور الجمال والخيول. الضجيج يملأ الأرجاء، والدخان يتصاعد من أثر الأقدام والحركة المستمرة.

في أحد أركان السوق، كان هناك رجل مسن يدعى رمسيس، بجواره ابنته البديعة الجمال، نفر. كانت بضاعتها المصنوعة يدوياً من الخوص تجذب الأنظار، وكان جمال نفر لا يضاهي. من بين المارة، وقف جندي روماني بشعره الأشقر وعيونه الزرقاء يتفحص نفر من بعيد. لاحظت نفر نظراته، لكنها لم تعره اهتماماً.

في هذه الأثناء، كان خالد بن ثعلب يمر مع رفاقه على ظهور خيولهم، يقودون قافلة من الجمال المحملة بالأقمشة القادمة من بلاد الحجاز. بعد أن استقرت القافلة، ترك خالد أصدقاءه وبدأ يتجول في السوق، مستطلعاً ما يعرضه التجار.

على الجانب الآخر من السوق، اقترب الجندي الروماني لويس من دكان رمسيس، وبدأ يتفحص البضائع بنظراته الشاقبة. استقبله رمسيس قائلاً: "تبحث عن ماذا، أيها الجندي؟" تبسم لويس، وألقى بنظراته نحو نفر، التي شعرت بالضجر من ملاحظته المستمرة لها. كرر رمسيس سؤاله بغضب مكبوت: "هل أنت أصم؟ تبحث عن ماذا؟"

بدون سابق إنذار، دفع لويس رمسيس بقوة، فسقط الرجل المسن على الأرض. تجمع أصدقاء لويس حوله، وقال لويس بتعجرف: "أنت ضعيف عن حمايتها." صاحت نفر بحدة: "اغرب عن وجهي، لا أريدك." تبسم لويس بتهكم وقال: "إذا أردت أن آخذك، لفعلت ذلك وأمام أعين الجميع."

بمساعدة ابنته، نهض رمسيس بصعوبة، وصاح بلويس: "ارحل من هنا، ارحل!" اقترب لويس منه بخطوات تهددية، وعينه تلمعان بالشر، واضعاً يده على مقبض سيفه، وقال: "والا ماذا؟ هل ستقاتلني؟"

وفي تلك اللحظة، تقدم خالد بن ثعلب بخطوات ثابتة، وقف أمام لويس ونظر إليه بعينين واثقتين قائلاً: "هلا رحلت رجاءً."

فجع لويس وتبدلت ملامحه الي الخوف ، ثم قال له وهو ينظر إلي رجاله ليطمئن ، في سخرية : " بدوي غريب ، ومن انت يا هذا . "

رسم خالد ابسامة واثقة واردف : " عبد من عباد الله ، جنت في الوقت المناسب لإنقاذ هؤلاء المساكين من بطشك وبطش بلادك الظالمة . "

دفعه لويس بقوة ولكنه ظل ثابت القدمين ، لا يلين ولا ينحني ، نظرات نفر لخالد كانت تملأها الاعجاب ، رفع لويس سيفه بسرعة ولكن صد هجومه خالد برده فعل اسرعه بخنجره الصغير ، و عرقله خالد واسقطه أرضا .

تجمع الماره ، جنسيات مختلفة يشاهدون ما يحدث ، تجمع اصدقاء لويس وشرعوا في اشهار سيوفهم نحو خالد الذي كان يتحرك بخطوات ثابتة ، قام لويس في حماس وانقض نحو خالد فطعنة خالد طعنة نافذة في البطن ، و امسك أحدهم بخالد بقوة من الخلف وجاء الآخر من أمامه رافعا سيفه ، ضربه خالد بقدمه فاسقطه أرضا و سحب خالد الرجل الذي يقف خالفة وطعنه ، صاحت نفر بصوت مرتفع : "جيش الرومان قادم ، أنجو بنفسك يا .. "

اجاب خالد بثبات : " ادعي خالد ، خالد بن ثعلب . "

ردت نفر بابتسامة لامعة : " زوجتك ستفتدك فارحل رجلا "

أكدها خالد بثقة : "لست متزوجاً . "

لمعت عيني نفر وقالت بلطف: " إذن ، ارحل رجاءاً."

أعلنها خالد بقوة : " ساعود من اجلك للتخلص من الرومان ."

بدون تردد ، أسقط خالد رفاق لويس أرضا بعد أن قتلهم جميعا ، ثم أطلق صفيرا وقفز علي جواده وانطلق مسرعا وسط نظرات اعجاب من نفر و الحاضرين جميعا .

كان بيور يستند بظهره إلى الجدار، وبجانبه أندروماليوس يأكل المقرمشات. قال بيور بصوته الهادئ: " ألم أخبرك يا صديقي القديم عن هذا الرجل؟"

فأجاب أندروماليوس ببلاهة وعدم اهتمام: " لا، لم نقل، أو ربما قلت وقد نسيت."

تبسم بيور واعتدل قائلاً: " حسناً، هذا أحد قادة جيش المسلمين."

اتسعت عينا أندروماليوس في دهشة وقال: "ماذا؟"

تقدمت ليليث من خلفهم، وقالت بصوت حازم: "نخسر جولة، ولكن لم نخسر المعركة."

فقال بيور بابتسامة مآكرة: "ذكرني بحرق الرومان بعد سقوط مصر في يد المسلمين."

نظرت ليليث إليهما بعينين متوهجتين، وأردفت: " علينا أن نكون مستعدين لأي تطور، فالتاريخ يكتب الآن ونحن في قلب الحدث."

نظر بيور إلى الأفق بعينين مفكرتين، ثم قال بصوت منخفض: "نحن نلعب دورنا، والعالم سيشهد على ذلك. ولكن علينا أن نكون على حذر، فالأعداء يتكاثرون."

هز أندروماليوس رأسه مؤيداً وقال: "سنكون مستعدين. لن ندع اي انسي يعطل خططنا."

بهذه الكلمات، عادوا إلى مداولاتهم، يستعدون للمرحلة القادمة من صراعهم، وهم يعلمون أن الأوقات العصيبة لم تأت بعد.

\*\*\*

في شبه الجزيرة العربية، كانت الشمس الحارقة ترتفع فوق أفاق السماء، والرياح تحمل الأتربة وتهب من كل اتجاه. النخل العالي يزين كل مشهد، والمنازل البسيطة تنتشر داخل كل قبيلة، تعكس حياة البدو البسيطة والتقليدية. في مكة المكرمة، كان الحجاج يؤدون مناسكهم الدينية بتفانٍ، وبالقرب من أحد المساجد كان الصحابة يتجمعون للنقاش والتشاور.

في إحدى الأيام، وقفت مجموعة من الرجال في وسط الزحام الشديد. سأل أحدهم بدهشة: "ما سبب هذا الزحام؟" فأجابه آخر بجديّة: "إنه اجتماع عاجل مع خليفة المسلمين."

وفيما كان أحدهم يمر بجوارهم، قال بحماس: "استعدوا يا أهل يثرب، سيتحرك جيش المسلمين قريبًا نحو مصر."

سأل أحدهم بقلق متزايد: "ألا سنحارب الرومان، أقوى القوى على وجه الأرض!"

أجاب أحدهم بثبات: "إذا كان الله معنا، فلا غالب لنا. والمصريون يعانون تحت سيطرة الرومان وينتظرون الخلاص."

كان بيور يسير على ظهر ناقه بدوية، بجواره ناقه أخرى تحمل اندروماليوس ولييث. قال بيور بثقة مطمئنة: "احرصوا على تلك اللوحة جيدًا يا اندروماليوس، فهي تحمل العديد من الأسرار والمعرفة."

أجاب اندروماليوس بابتسامة خجولة: "نعم، الجيش جاهز للانطلاق نحو مصر قريبًا."

ضحكت ليليث بسخرية وأضافت بصوت دافئ: "لا تجدون أفضل من اندروماليوس هكذا."

هز اندروماليوس رأسه بسخرية وقال بغضب مبالغ فيه: "لو أنزلتك لتزوجتك العرب جميعًا!"

وأخيرًا، قال بيور بجديّة: "هل انتهيتم؟ حسنًا، احرصوا على تلك اللوحة جيدًا يا اندروماليوس."

\*\*\*

\*\*\*

يقود عمرو بن العاص، القائد العربي الشجاع، جيش المسلمين عبر صحراء سيناء، عازماً على فتح مصر وإدخالها تحت راية الإسلام. لم يكن هذا الفتح مجرد حملة عسكرية، بل كان بداية لحقبة جديدة ستغير وجه مصر إلى الأبد. بدأ الفتح في مدينة العريش، ثم الفرما، متقدماً بخطى ثابتة نحو الداخل، حيث خاض المسلمون معارك شرسة وحصاراً طويلاً لحصن بابليون، مركز الحكم البيزنطي في مصر.

بين الحصار والمفاوضات، التقت الثقافات وتداخلت المصائر. الجنود العرب والمصريون المحليون والبيزنطيون، جميعهم كانوا جزءاً من لوحة معقدة رسمتها سيوف الفاتحين وريشة التاريخ. في نهاية المطاف، ومع دخول المسلمين إلى الإسكندرية، سقطت مصر في يد الجيش الإسلامي، لتبدأ فترة جديدة من التحولات الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

ظلت اللوحة متروكة لعقود طويلة داخل سرديب هذا المعبد، حيث غطتها الرمال وأخفي هيكل المعبد تحت التراب، دون أن يمر عليها الأجيال الحديثة واكتشفوا وجودها. ظلت لسنوات طويلة ملقاة داخل المخازن، بدون أن يدرك أحد قيمتها الحقيقية.

\*\*\*

داخل مكتب رؤوف الكاشف، كان المحقق أشرف علي يجلس محاولاً التقاط أنفاسه، وأمامه مساعد المحقق نادر بكار، الذي كان ينظر إليه بحالة من الرعب. رؤوف الكاشف كان يتناول الدواء ويشرب الماء بينما كان يرد على المكالمات التي كانت تتلقاها. كلما بدأ في تناول الدواء، دق جرس الهاتف الأرضي وأجاب بهدوء متوتر: "نعم سيدي، نحن نقوم بالتحقيق في الأمر."

ثم أغلق الهاتف مجدداً وحاول مرة أخرى أن يأخذ الدواء، لكن الهاتف دق من جديد، فرد بانزعاج: "نعم، نحن نعمل بكل طاقتنا. نحن عازمون على حل هذا اللغز." غضب رؤوف ووضع وجهه أمام مروحة الهواء، حيث كان يتصبب عرقاً من الحر والضغط.



في ذلك الوقت، عاد رئيس النيابة رؤوف الكاشف وجلس في مكانه، ثم أمسك بالدواء وشرب الماء، وفوراً دق الهاتف. رد رؤوف بحدة: "نعم، ماذا تريد؟ نحن لسنا مطعماً. نعم سيدي، أعتذر لكن الخطوط بها تخبط شديد. نعم، نحن نعمل على القضية. لا تقلق، سنحل المشكلة بسرعة."

بعد إغلاق الهاتف، تنفس رؤوف بصعده ومسح عرقاً من جبينه، ثم قال بغضب وهو ينظر حوله في مكتبه: "أين نادر بكار؟ أحضروه فوراً وابدؤوا بالبحث في هذه القضية."

أشرف علي انصرف بينما كان ينحني للتحية ويشير له بالانصراف، ثم شرب المزيد من الماء واستعاد هدوءه ببطء.

\*\*\*

وصل نادر بكار إلى مقر النيابة حيث يعمل، نزل من سيارته وأخرج سجانره ليشعل واحدة منها، ثم نظر حوله ورأى صقراً يقف بعيداً ينظر إليه ويشير له بالتقدم. تنهد نادر وتقدم نحو الصقر، الذي قام بإلقاء ورقة على الأرض وانطلق بسرعة بين السيارات منعسماً في زحام شديد. وقف نادر أمام الورقة، انحنى كأنه يربط رباط حدائه، وقرأ ما كان مكتوباً عليها: "الليلة في المكان القديم."

قام بتمزيق الورقة وأشعل بها السجارة لتحترق، ثم شعر بيد تضع على كتفه وسمع صوتاً يقول: "في الوقت المناسب." نظر بدهشة ووجد أشرف علي يحتضنه ويقول: "حمداً لله على عودتك."

تبادلا السلام والتحية وتقدموا سوياً نحو درجات النيابة وهم يتبادلون الحديث.

نادر سأل بحزم وهو يصعد مع أشرف درجات النيابة: "ماذا فانتني؟"

أجابته أشرف بيرودة: "روق على حالك في البداية، اشرب قهوتك وسجارتك، سأخبرك بالأحداث تباعاً."

رسمت ابتسامة خفيفة على وجه نادر، تخفي خلفها حزناً كبيراً، وهو يتأمل فيما هو قادم.

\*\*\*

أصبحت الأمور مربية، كل شيء يحدث له معنى، هم حولنا في كل مكان وزمان. إذا سرت في الشوارع، ستجد إعلانات يضعون فيها بصمتهم، وأي عمل درامي أو سينمائي شهير يثير ضجة فهم خلفه وداعموه لإيصال رسائل خفية مصحوبة برموز شيطانية داخل العمل. يسعون لجعل العالم أكثر استهلاكاً لجمع أكبر ثروة ممكنة، ويسعون أيضاً لتدمير الشعوب وتخريب العقول من أجل أهداف خفية.

كانت تلك الكلمات تُدون داخل مذكرات المحقق نادر بكار، الذي يقطع حبل أفكاره عندما دخل مساعده أشرف علي وهو يعود من المرحاض، وقال له بحزم: "سرقة لوحة فنية أثرية نادرة، تعود لحقبة العصر الروماني أثناء احتلال مصر. مرت عقود طويلة وكانت اللوحة مدفونة تحت أنقاض أحد المعابد الرومانية التي تم اكتشافها في أوائل القرن الماضي. ظلت لسنوات في المخازن مع آثار لا حصر لها حتى وضعت في المتحف القومي منذ عدة أعوام."

وأضاف بحماس، "بدأت اللوحة الفريدة بلفت أنظار العالم. حاولت دول عدة شراؤها أو استعارتها، لكن دائماً كانت تلقصوت عروضهم رفضاً تاماً من الحكومة المصرية. والآن تمت سرقتها."

في ضحكة ساخرة، أضافها نادر بكار بصوت مليء بالتهكم والسخرية: "أعلم من سرقتها."

أشعلت هذه الكلمات فضول أشرف الذي بدا وكأنه صدمه للتو، وسأل بدهشة وتوتر: "ماذا قلت للتو؟"

نفى نادر بكار بحركة بسيطة بيده، مبدياً عدم اكتراثه: "لا شيء، دعنا نبدأ بتفقد المكان أولاً."

في قاعة النيابة، كان المحقق نادر بكار ومساعدته أشرف علي يتقدمان بخطوات ثابتة نحو جديد من الغموض والتحقيق. تبادل أشرف أهمية القضية مع رئيس النيابة، المستشار رؤوف الكاشف، الذي كان ينتظر النتائج بفارغ الصبر، بينما كان نادر يغوص في أفكاره، يتأمل بعمق ويتساءل في قرارة نفسه: "هل للمنظمة السرية يد في هذا؟ وهل للمدعو جاك والمطربة المشهورة نيلي فؤاد دور في هذا السرقة؟"

خارج أسوار النيابة، كان نادر وأشرف يتوجهان نحو موقع الجريمة في السيارة، مستعدين لاستكشاف قضية جديدة تحمل ظلالاً مظلمة ومؤامرات معقدة، في رحلة استثنائية تتطلب تفكيراً عميقاً وهدراً شديداً.

\*\*\*

في إحدى الملاهي الليلية الفخمة، كانت المطربة الشهيرة نيلي فؤاد تحيي حفلاً مذهلاً بأغنياتها الجديدة، وسط هتافات الجمهور المتحمس. الأجواء كانت تعج بالضيوف الأثرياء والمشاهير من مختلف أنحاء الوطن العربي، مما أضفى على المكان طابعاً من البهجة والترف.

بعد انتهاء فقرة الغناء الرائعة، نزلت نيلي إلى طاولة الطعام حيث كانت تجلس مع جاك وعدد من رجال الأعمال والمال. همست نيلي في أذن جاك بابتسامة مملوغة بالتواضع: "ما رأيك؟"

ابتسم جاك وأجاب بصوت منخفض: "رائعة كالعادة، أداء مذهل حقاً."

في تلك اللحظة، صعدت إلى المسرح مطربة شابة تدعى فريدة راشد، بصوتها الرنان الذي كان يملأ المكان. رغم موهبتها الواضحة، لم يكن هناك من يلاحظها بقدر ما يستحق صوتها، إذ كانت غير مشهورة بعد. ولكنها كانت جزءاً من فريق نيلي فؤاد، التي تُدرّب الفنانين الشباب في النوادي الخيرية.

تعتبر هذه النوادي من بين أشهر الأماكن التي تدعم الماسونية، حيث يحمل أحدها شعار الأسد والآخر شعار ملاحي. هذه الأندية، برغم الفخامة والترف الظاهرين، كانت تختبئ وراءها أهداف أخرى.

جاك، الذي كان يعرف خفايا الأمور، لم يكن مجرد رجل أعمال عادي. كان مرتبطاً بتلك الأندية الخيرية، ومستغلاً النجومية والتأثير الكبير لنيلي فؤاد لخدمة أجنده. وبينما كانت نيلي تظن أنها تساهم في بناء ودعم المواهب الشابة، كانت في الحقيقة جزءاً من لعبة أكبر تدور في الظلام.

الفخامة الظاهرة في الملهى الليلي كانت تخفي وراءها عالماً من المؤامرات والأسرار، حيث كان كل من يجلس في تلك الطاولة يملك دوراً في هذه اللعبة الكبيرة. نيلي بفنّها، وفريدة بحلمها، وجاك بالأعبية، كانوا جميعاً بيادق في لعبة أكبر من أن يتصورها أحد.

الليل كان يمضي، والموسيقى كانت تعلو، والأضواء كانت تلمع. ولكن في زاوية مظلمة من المكان، كانت هناك همسات ونظرات تفصح عن نوايا خفية، وتنسج خيوط مستقبل مجهول لا يعرف عنه أحد سوى أصحاب الأجنات السرية.

\*\*\*

حي مدينة نصر كان يلفه الهدوء في تلك الليلة، وصوت أم كلثوم ينفذ إلى الأفق مكتومًا من داخل أحد المحال التجارية القديمة. كان هذا المكان، الذي اعتاد المحقق نادر بكار الاجتماع فيه مع أصدقائه القدامى، يحمل ذكريات عديدة. دخل نادر بكار كما اتفق مع صقر، ووجد المكان مظلمًا، تتدلى من سقفه لمبة صغيرة. رائحة الطلاء النفاذة ما زالت تملأ الجو، وبدت الصالة الكبيرة كأنها تحمل أسرارًا كثيرة.

داخل المحل، كانت مديحة الشريف، الممثلة الشهيرة بشعرها الأشقر وجمالها الأسر، تنتظر برفقة صقر. وقف نادر مذهولًا أمام الطاولة، محددًا في مديحة بابتسامة مترددة، وقال بذهول: "مديحة الشريف!"

صافحها وجلس، بينما قال صقر: "أردت أن تعلم بأننا فريق واحد ولا نخفي عنك سرًا."

مديحة، بابتسامة دلال، ردت: "سمعت عنك الكثير وكنت أتمنى لقاءك."

ابتسم نادر بخجل، وقال: "كنت أتمنى رؤيتك من بعيد، لا أن أجلس معك."

صقر، بخطوة حماسية، خبط بيده على الطاولة وقال: "رائع، نبدو كفريق واحد. دعونا نبدأ العمل."

تبادلت مديحة ونادر نظرات الإعجاب الصامتة، وقام صقر بالتوجه إلى الصبورة الكبيرة المعلقة على الجدار. أشار إلى الصور المعلقة وقال بحماس: "هؤلاء هم أعداء الوطن، ونحن هنا للإيقاع بهم."

كانت الصور تحتوي على شكري علوان، ونيلي فؤاد، ومستر جاك. بدأ صقر يشرح تفاصيل كل منهم، وعلاقاتهم المشبوهة، والجرائم التي تورطوا فيها. الأجواء كانت مشحونة بالحماس والتوتر، وكانت مديحة تضيف على المكان بجمالها ورونقها لمسة من الأمل والتفاؤل.

نادر، الذي كان يعرف ثقل المهمة الملقاة على عاتقهم، شعر بالثقة وهو ينظر إلى زملائه. قال بصوت مليء بالعزم: "لنبدأ إذن. لدينا عمل كثير لنقوم به، والوطن يحتاج إلينا."

وفي تلك اللحظة، أدركوا جميعاً أنهم ليسوا فقط فريقاً، بل كانوا أملاً جديداً للوطن، ومفتاحاً للعدالة في زمن يعج بالمؤامرات والأسرار .

\*\*\*

تبادل الحضور التهاني والإعجاب بأغنياتها الجديدة وصوتها الفريد الذي يجذب القلوب. خلال تناول الطعام، لاحظت نيلي شخصاً جديداً يدخل المطعم، وأشارت إلى جاك الذي بدوره نظر بفضول. الرجل الضخم، ذو الشارب الكبير والبطن الممتلئ، كان يرتدي زياً ملوناً بأناقة، ومزياً بالخواتم الكبيرة والمتألنة في يده، كما كانت رقبته ومعصمه مزينة بالمجوهرات الثمينة. استمر في التجوال بعينه حتى أن نيلي أشارت إليه بلطف، فرد بابتسامة وتحية ودخل في حديث ودي معهم، مقدماً التحية للحضور ومستعرضاً تواضعه وحسن استقباله.

في حين كان جاك كعادته جاف الملامح، ابتسم بخفية وأجاب باحترام: "مرحباً بك."

لكن ما لاحظته الجميع كان تبدل ملامح جاك عندما قدمت نيلي الترجمة. ظهرت علامات التعجب والاستغراب على وجهه، وتبدلت نظراته بين الحيرة والغضب. بدأت كلمات الرجل الجديد تحمل نبرة مختلفة، وأخذ يتحدث بنبرة متفاجئة: "لم تكن تلك اللوحة ذات أهمية حتى تحدثت عنها العالم، فراققت لي."

نظر جاك بحيرة، ثم قال بصوت هادئ وحاد: "فيذهب للجحيم."

نيلي بدت مرتبكة، ولكنها استمرت في الترجمة بثبات، تظهر عليها علامات الاستغراب والاستياء. حاول المعلم بدر تلطيف الأجواء بمزاحه: "لماذا قمت بالترجمة الفورية؟ كنت أمزح!"

لكن جاك لم يعد يستمع، بل انصرف دون أن يلتفت، تاركاً الجميع في حالة من الدهشة والحيرة.

نيلى نظرت إلى المعلم بدر ببرود، وأكملت طعامها بصمت، بينما حاول المعلم بدر تسوية الأمور وإعادة الحيوية إلى الجو المنزوي.

أثناء خروجه، سمع المعلم بدر الترحيب الحار باللواء محمد البدر اوي، والإشارات إلى طاولة نيلى. كان اللواء يملك حضورًا مميزًا وسمات قيادية، وهمس مع نيلى قائلاً: "كل شيء جاهز، ننتظر الإشارة."

نيلى، معبرة عن حذرها، قدمت الطعام والشراب قائلة: "كن حذرًا، تلك اللوحة لا تقدر بثمن."

جاك، الذي ظل يبتعد عن الجلسة لبعض الوقت، عاد لاحقًا لمواصلة الحديث مع نيلى. عندما جلس مرة أخرى، كانت نظرتة أكثر جدية وتفكيرًا. سأل بهدوء: "ما الذي يدور هنا حقًا؟"

نيلى، بنبرة هادئة ولكن قاطعة، أجابت: "هناك الكثير مما لا تعرفه، جاك. ولكن عليك أن تثق بي."

جلس جاك وأخذ رشفة من شرابه، ثم قال: "إذا كان هناك شيء يحتاج إلى فعله، فأخبريني. لا يمكننا تحمل أي خطأ."

ومع استمرار الحفل، كانت هناك همسات في كل زاوية، ونظرات تبادلها الجميع. كانت الليلة تبدو براقية وممتعة، لكن في الخفاء كانت هناك مؤامرات تنسج وأسرار تترقب الإفصاح.

\*\*\*

داخل حي مدينة نصر، كان الاجتماع قائمًا. على الطاولة، أعد صقر أكوابًا من الشاي والماء بعد أن انتهوا من تناول الكفتة المشوية. شرب صقر من الشاي ووقف بعدما نظف يديه وأسنانه بالسواك. وقف أمام الصبورة وأعطاهما ظهره، ونظرت إليه مديحة باهتمام، فيما نظر إليه المحقق نادر بشغف. وضع صقر يديه في جيبه وقال بصوت مليء بالشجن: "فقدنا أصدقاء أعزاء لن يعيدهم الزمن لنا مرة أخرى، بسبب منظمة سرية مثل المرض الخبيث، تسعى للفساد والخراب داخل أوطاننا العربية. يريدون تقسيم الدول وسرقة خيراتها وتخريب العقول ونشر الفتنة والتطرف. لكنهم غفلوا عن شيء واحد، أن لهذا الوطن عيون لا تنام."

دخلت عليهم تهاني الجبالي قائلة: "هل تأخرت؟! " وصافحتهم جميعاً، وصافحها نادر. وقالت له: "مرة ثانية، آسفة لخسارتك." هز رأسه بالموافقة وتنهد وجلس نادر بجانب مديحة الشريف وتهاني الجبالي. أكمل صقر قائلاً: "لن يستطيعوا إسقاط الوطن ونحن يد واحدة، ولهم بالمرصاد."

وضع صقر يده في الهواء ممدودة إليهم بحماس، وقام نادر ينظر إلى الجميع وقال بحزم: "وأنا معكم."

وقالت تهاني الجبالي: "وأنا أيضاً."

وقامت مديحة الشريف قائلة وعيناها تدمعان: "من أجل زوجي المخرج الراحل بسببهم، فأنا معكم أيضاً."

فقال صقر بحماس: "اتفقنا."

تبادلوا نظرات العزم والإصرار، وكل منهم يحمل في قلبه الأمل بأنهم يستطيعون إحداث الفرق. كانت كلماتهم تعبر عن أكثر من مجرد التزام؛ كانت تعهداً بحماية الوطن والدفاع عن قضاياه العادلة. في تلك اللحظة، تشكلت رابطة قوية بينهم، رابطة مبنية على الحب للوطن والتضحية من أجله.

\*\*\*

داخل الملهى الليلي الفخم، كانت نيلي فؤاد تقف أمام المرآة في الحمام، تعدل مساحيق التجميل على وجهها بعناية. انتهت فقرة المطربة الشابة الجميلة فريدة رشاد لتدخل خلفها إلى الحمام. لمعت عينا نيلي لحظة رؤيتها لفريدة عبر المرآة، ورفعت كتفيها ويديها قليلاً قائلة: "ماذا؟"

ترددت فريدة لوهلة، ثم ردت بخجل وهي تمسك بأصابعها وتنظر للأسفل برأس مانلة: "نعم، أريد الشهرة والمال."

نظرت نيلي إليها بتمعن من خلال المرآة، وأكملت وضع اللمسات الأخيرة على مكياجها. "بالفعل، أنت الآن في مكان لم تكوني تحلمين حتى بالمرور أمامه، دعك من العمل فيه."

اقتربت فريدة بخطوات بطيئة ونظرت إليها بعينين ممتلئتين بالطموح والخوف، ثم احتضنتها من الخلف قائلة: "أنا مستعدة لفعل ما تأمريني به، أيًا كان نوعه."

ابتسمت نيلي بخفة وأبعدتها عنها بضربة خفيفة من كوع يدها قائلة: "هل تعلمين أنني أعرف الكثير من المواهب؟ والكثير يتمنون فعل أي شيء في مقابل أن أرضى عنهم."

أجابت فريدة بخضوع: "أعلم، وأنا مستعدة لفعل أي شيء من أجل المال والشهرة."

توقفت نيلي عن التجميل والتفتت نحوها، ثم أمسكت بوجهها بقوة قائلة: "حسنًا، إليك مهمة صغيرة. إن نجحت فيها، سأجعلك من أشهر فنانات العرب."

تألمت فريدة من قبضة نيلي عليها، لكنها قالت: "تحت امرك."

تركتها نيلي وفتحت باب الحمام، نظرت إليها نظرة تحمل الكثير من المعاني وقالت: "هناك محقق يُدعى نادر بكار. أريدك أن تجعله يقع في غرامك ويصبح خاتمًا في إصبعك."

ترددت فريدة للحظة، ثم قالت بشيء من الحماس الممزوج بالتردد: "حسنًا، أريد معلومات كافية عنه."

ابتسمت نيلي بخبث وقالت: "سأوفيك بكل التفاصيل لاحقًا وداعًا."

بعد مغادرة نيلي، وقفت فريدة أمام المرأة تنظر إلى صورتها. كانت تدرك أنها مقبلة على مرحلة جديدة في حياتها، مرحلة قد تغير ملامحها وطباعها إلى الأبد. كانت ترى في عينيها بريقًا من الطموح، لكنه كان ممزوجًا بشيء من القلق. إنها على وشك الدخول في لعبة أكبر مما تخيلت، لعبة قد تدفعها للتضحية بالكثير من مبادئها وأحلامها القديمة.

\*\*\*

صباحاً داخل نادي الشمس، حيث الشمس الساطعة تملأ السماء والخضرة الساحرة تحيط بالمكان، كان المحقق نادر بكار مستلقيًا أمام حمام السباحة. كان يرتدي شورتًا قصيرًا، عاري الجسد، ويستريح تحت شمسية كبيرة، وبجواره كوب من عصير الليمون وراديو يعزف بصوت هادئ. كانت ضوضاء الحضور تملأ المكان، حتى سمع صوت صرخة مفاجئة تلتها هبوط شخص في الماء بالقرب منه، فانتبه بسرعة ورأى فريدة رشاد تغرق في المسبح.



دون لحظة تردد، قفز نادر في الماء وأمسك بفريدة، وبمساعدة الحضور تمكن من إخراجها إلى البر. وضعها على الأرض وبدأ ينادي عليها بحنان، يحاول إفاقتها من غيبوبتها المفاجئة. فتحت فريدة عينيها ببطء، وبدأت تستعيد تدريجياً وعيها.

سألت بصوت ضعيف: "أين أنا؟"

أجابها نادر بنبرة هادئة: "أنت في أمان الآن. ماذا حدث؟"

أجابت فريدة وهي تحاول تذكر: "انزلت قدمي داخل المسبح، وأنا لا اعرف فن العوم."

نظر نادر حوله، ووجد الحضور يبتعد بعيداً بعد أن تأكدوا من سلامتها. أعلن نادر بصوت مرتفع: "شكراً لكم جميعاً، هي بخير."

انصرف الجميع تاركين نادر مع فريدة التي كانت تعاني من الدوار والضجر. ساعدها نادر على النهوض وجلسها وأراد أن يجلسها بالقرب منه. شكرته فريدة وأبدت امتنانها قائلة: "شكراً لك، أنا بخير."

أجاب نادر وهو يبتسم بلطف: "حسناً، أتمنى لك يوماً سعيداً."

فريدة استغللت الفرصة لجذب انتباه نادر، وبدأت في حالة دوار خفيفة. نظر نادر إليها وهي تتألق بزّي السباحة الذي يبرز جمالها أكثر، فأمتدت يدها وسمحت له بمساعدتها على الجلوس بجانبه. بدأوا في التعارف والضحك والحديث، وقرروا مشاركة مشروب معاً، واتفقوا على تناول العشاء سوياً لاحقاً.

\*\*\*

في منظر بانورامي لمحيط الأهرامات الثلاث، وقفت الأهرامات شامخة، بينما جلس أبو الهول كشاهد على تاريخ الحضارات. المعلم بدر وقف بسيارته التراثية القديمة مع ثلاثة رجال أشداء يتبادلون النكات. وفيما كان يداعب خاتمه بيده ويمسك بشاربه، نظر نحو الأهرامات وهو يقول بمزاح لرجاله: "لو نستطيع سرقة الأهرامات وبيعها للأجانب!"

ضحك رجاله بضحكات مصطنعة، لكنه لاحظ صمتهم المتزايد. نظر إليهم بغضب وقال بسخرية: "ألم أقل شيئاً مضحكاً؟"

ضحكوا بضحكات مصطنعة، ولكنهم بدوا ثابتين كأبو الهول نفسه. همس لنفسه بغضب: "أغبياء، لعنة الله عليكم جميعاً."

لكن قبل أن يدرك الأمر، دخلت سيارة فارهة، دارت حولهم مثيرة غباراً كثيفاً يجبرهم على السعال وهم يحاولون تجنبه. عندما توقفت السيارة بجواره، نزل منها رجال أشداء فتحوا باب السيارة لتخرج منها الفنانة مديحة الشريف بكامل أناقتها وجمالها.

ركض بدر نحوها وأمسك بيدها وقبلها، وهو يهلل مندهشاً لما يراه. وقفت مديحة بجانبه وهي تبتسم بعرض وقالت: "مرحباً بك، لم أتخيلك بهذه الوسامة."

دهش بدر وقال وهو يرفع يديه: "من أنا؟"

قبل يدها ومسحها على صدره وقال وهو ينحني: "من بعض ما عندكم."

تابعت مديحة الشريف بضحكاتها وأضافت: "ودمك خفيف، رائع."

نظر بدر حوله بحماس وقال: "ماذا ترغبين؟ يمكن للنجمة أن تجعل أي شيء حقيقة."

تنهدت مديحة ونظرت إلى الأهرامات وقالت: "أريد هذا الهرم الصغير."

صاح بدر وضحك، وقهقهه، واهتزت معدته، وداعب شاربه وهو يقول: "مكشوف عليكم، أليس كذلك؟ قبل أن تشرف عليكم، كنت أقول هذا لرجالي."

ضحكت مديحة بدهشة وقالت: "هل تمزح؟ أين أضع تلك الأحجار الثمينة؟ لا، ما أريد أبسط بكثير."

صمت بدر وسألها بفضول ممزوج بالتوتر: "ماذا تريدون بالضبط؟"

أجابت مديحة بجديّة وهي تستفزه بابتسامّة: "لوحة فنية."

نظر إليها بتوتر وسأل: "أي لوحة تقصدين؟"

بتعجب، أخرجت سيجارتها وحاولت إشعالها، لكن الرياح أخذت تعوقها. بدر ساعدها بإشعالها باستخدام قداحته وهو يحتمي بيديه الغليظتين عليها.

أخذت نفساً عميقاً وأخرجت الدخان في وجهه، فابتسم بلاهة وأضاف: "من دون معلم بدر، من يمكنه سرقة اللحم من فم الأسد؟"

غضب ونرفز بدر وقال: "لا تقولي سرقة."

نظرت إليه بنظرة ذات معنى، ثم ابتسمت وقالت: "أعني استعارتها."

ابتسمت وأخذت تتحدث من نافذة سيارتها، وهو ينظر إليها بدهشة، وقالت: "اسمعي جيداً، لدي صديق لبناني يرغب في أن يهدي هذه اللوحة لصديقتة الإيطالية في عيد ميلادها."

أخذ بدر نفساً عميقاً وقال: "للأسف، تم بيعها."

أجابت مديحة بثقة وهي تنظر إليه: "ما هو السعر الذي تطلبه؟ في انتظار ردك."

ظل يداعب شاربه ويشرح في تفكير عميق وقد لمعت عيناه فهو يعشق المال.

أشارت إلى السائق وانطلقت سريعاً، مخلفة دخاناً كثيفاً وهو يحاول تجنبه، ويقول وهو يزيح الرمال بيديه ويسعل: "لو اردتي الأهرامات، لكان أسهل."

\*\*\*

في ليلة صيفية حارة، كان الزحام يملأ أحد المطاعم الشهيرة في مصر الجديدة. الأجواء الساخنة جعلت الناس في حالة ضجر، إلا أن داخل المطعم كان مختلفاً. الجدران تحتضن برودة مكيف الهواء، والموسيقى الهادئة تضيء راحة على المكان.

في إحدى الزوايا، جلس نادر، يستمتع بهذه الراحة وهو يحتسي مشروبه بهدوء ، وسط رائحة العطور النافذة الخاصة بالزبانن و الممتزجة برائحة الطعام الشهية ، كان يشرب القهوة و يدخن ولحظه دخولها طفي سجائر وانتبه لها . فجأة، دخلت فريدة رشاد، لافتة الأنظار بجمالها الأسر، مرتدية فستاناً أسود طويلاً يضفي على جمالها سحرًا خاصًا. تلاقحت أعين نادر بها، ولمعت عيناه بإعجاب واضح. ابتسم قائلاً بصوت ناعم: "كم أنت جميلة."

ابتسمت فريدة بدلال وردت بخجل: "شكرًا."

تقدم الجارسون وقدم لهما قائمة الطعام. بلمحة من الحزم الممزوج بالثقة، قال نادر: "دعيني أختار لك."

ابتسمت فريدة وأعدت القائمة للجارسون قائلة: "لا مانع."

نادر نظر إلى الجارسون وأمر: "مكرونه إسباجتي وفراخ باتيه."

هز الجارسون رأسه بالموافقة وانطلق لتنفيذ الطلب. عاد نادر بنظره إلى فريدة، وقال: "أحب هذا المطعم، له مكانة خاصة في قلبي."

فريدة تأملته بنظرات ساحرة وأجابت: "يبدو لطيفًا بالفعل."

نادر أخرج سيجارة وأشعلها بقداحته الذهبية، أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه ببطء. رأت فريدة ذلك، ولم يسرها المشهد. أمسك بسجارتته وأطفأها بحزم قائلة: "رجاءً، لا تدخن. أقطع عن التدخين."

تبسم نادر وسأل: "لماذا تخشين علي من الموت؟"

وضعت يدها على فمه ودمعت عينها قائلة: "فقدت أبي بسبب التدخين، ولا أنوي أن أفقدك أنت أيضًا."

لمعت عيناه تأثرًا وأزاح علبة السجائر والقداحة جانبًا. أمسك بيدها وقبلها برفق، ثم سأله: "حدثني عن نفسك قليلًا."

تنهد نادر وأجاب: "أدعى نادر حسين سعد بكار، عمري ثلاثون عامًا، غير متزوج، وأعمل كمحقق. أعيش مع أمي."

تنهدت فريدة وأجابت: "أنا فريدة رشاد، من أسرة ثرية، توفي والدي بسبب التدخين وأعيش مع أمي في وسط البلد. غير مرتبطة، وأعشق الغناء. حلمي أن أصبح مطربة مشهورة. ولكن لماذا لم ترتبط حتى الآن؟"

تنهد نادر بعمق وقال: "كانت لي خطيبة، لكنها ماتت في حادث أليم."

ربت فريدة على يديه بحنان وقالت: "لا تحزن، القدر سيهديك أجمل هدية في الوقت المناسب."

نظر نادر إليها بنظرة ذات مغزى، ووسط أنغام الموسيقى بدأ الحديث بينهما يتعمق، متناولين مواضيع شخصية ومشاعر لم يكشفها عنها من قبل. انتهى من تناول الطعام، وخرج نادر من المطعم برفقة فريدة.

داخل سيارته، أدار نادر المحرك ولكنه سرح قليلاً، ثم قال بتعجب: "ماذا هناك؟"

أجابته فريدة بحزن: "يبدو أنك نسيت سجانرك وقداحتك."

نادر ابتسم وقال: "منذ أن ظهرت في حياتي، بدأت أنسى أشياء مهمة."

فقال في ضجر: "ألم نتفق على الإقلاع عن التدخين؟"

ردّ نادر: "نعم، ولكن تلك القداحة كانت هدية من نهي. انتظريني هنا."

خرج نادر مسرعاً إلى الداخل، بينما جلست فريدة في السيارة تفكر: "من نهي؟ هل يقصد أمه؟"

\*\*\*

عاد نادر إلى داخل المطعم مرة أخرى، حيث كانت رائحة العطور الفاخرة للزبانن تمنزج برائحة شواء اللحم الطازج، مما يخلق مزيجاً مغريباً ومثيراً للشهية. كانت ضوءاء الصحن المتداخلة مع أصوات الحديث المتواصل تضيء على المكان جواً من الحيوية. تقدم نادر إلى الداخل وأخذ القداحة فقط، تاركاً علبة السجانر الممتلئة وراءه.

عندما خرج من المطعم، وجد شابًا يقف بجوار النافذة محاولاً بيع المناديل بإلحاح. كانت عينا الشاب تلمعان بخبث عندما رأى فريدة، فاندفع نحو نادر وأمسك به بقوة، ثم طرحه أرضاً. انطلقت صرخة فريدة بشكل عفوي وحاولت التدخل لمساعدته، لكن مجموعة من الشبان تجمعوا بسرعة حول نادر وبدأوا بضربه بشكل وحشي.

على الجانب الآخر من الشارع، كانت نيلي فؤاد تنتظر في سيارتها الفارهة، تراقب الأحداث عن كثب. عبر الطريق إليها رجل ضخم البنية، وقامت بتسليمه مجموعة من الأموال. قال لها بابتسامة مكر: "تلقي ضرباً مبرحاً لا يؤذي، كما أمرتني." انطلقت نيلي بسيارتها بسرعة وهي تنظر إلى نادر بنظرة احتقار عميقة، فهذه الخطة كانت تهدف إلى إضعافه وجعله يعتمد على فريدة بشكل أكبر.

بعد أن انتهى الشبان من ضرب نادر، قامت فريدة بمساعدته على النهوض وقادته إلى سيارته. كان نادر يتألم بشدة، لكنه أصر على العودة إلى المنزل. سعدت فريدة معه إلى المنزل وسط غياب والدته. سألت بقلق: "أين والدتك؟"

أجاب نادر بصوت مبحوح وهو يتألم: "عند خالتي."

دخلت فريدة معه إلى غرفته وأغلقت الباب خلفها بحذر. كانت الغرفة مضاءة بإضاءة خافتة، مما أضفى جواً من الحميمية والتوتر. جلست بجانبه على السرير، وتناولت منديلاً لتجفف الدماء من وجهه. نظرت إليه بعينين مملوءتين بالدموع وقالت: "يجب أن تذهب إلى المستشفى، لا يمكننا تركك بهذا الشكل."

ابتسم نادر بصعوبة وقال: "أنا بخير، مجرد كدمات. لا أريد أن أقلق والدتي."

أمسكت فريدة بيديه بحنان وقالت: "لا يمكنك أن تبقى صامتاً أمام ما يحدث، يجب أن نعرف من وراء هذا الهجوم."

تنهد نادر وقال: "أعتقد أن هناك شخصاً ما يراقبنا. هذه ليست صدفة."

وضعت فريدة يدها على قلبه وقالت: "سنبقى معاً، وسنكتشف الحقيقة سوياً."

وسط هذه اللحظة المؤثرة، أدرك نادر أن فريدة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته. كانت اللحظة تحمل في طياتها وعوداً وأسراراً، ومستقبلاً غامضاً مليئاً بالتحديات.

احتضنها نادر بقوة، فبادلته فريدة قبلة، وخفق قلبه بشدة. ثم دفعته برفق قائلة: "أريد أن أذهب الآن."

فقال لها وهو يحتضنها بقوة: "الآن لا."

أغلقت فريدة أنوار الغرفة، معلنة عن ليلة حميمية ساخنة بينهما. في تلك اللحظة، كان نادر قد وقع في شباكه وشباك المنظمة السرية التي تعمل معها. ما لم يكن يعلمه نادر هو أن أحد أفراد المنظمة كان مختبئاً خلف الستار، يسجل كل ما يحدث بالصوت والصورة. كان التسجيل بمثابة دليل يتم استخدامه لاحقاً للضغط على جميع الأطراف، كعادة تلك المنظمات السرية التي تستغل مثل هذه اللحظات لتحقيق أهدافها الخبيثة.

\*\*\*

في صباح اليوم التالي، استيقظ نادر في غرفته على بكاء فريدة راشد التي كانت بجواره في السرير. فتح عينيه بهشة وتعجب، ونظر إليها قائلاً: "ماذا حدث؟"

فراثة فريدة وهي تواصل بكائها بشدة وانهايار، فعلم نادر أنه أخطأ وقال بندم: "أنا آسف، لا أعلم كيف حدث هذا."

كانت فريدة لا تستطيع الرد، تبكي بحرقة. هدأ نادر رعبها وحاول تطمينها قائلاً: "جمعنا القدر معاً، فمن يفرقنا."

هدأت قليلاً وأكملت: "أنت فعلت هذا لأنني أحبك، خدعتني."

"لا،" أجابها نادر مع اعتدال في جلسته، "أنا أحبك أيضاً."

نظرت فريدة إليه بنظرة معبرة في حجل، ثم قالت: "ومن يتزوج فتاة قضت معها لحظات الحب دون زواج."

فأخذ يدها وأكمل: "أنا... أنا أحبك، ولن أتركك."

فجأة، سمعوا صوت الباب يفتح ويُغلق، وصوت أم نادر تنادي عليه من بعيد بصوت مكتوم: "نادر يا نادر، أين أنت؟"

نظرت فريدة إلى نادر، ثم انقضت وقبلته على وجهه في حنان، وبينما دخلت أمهما إلى الغرفة، صرخت بصوت مدوي يهز أركان المنزل.

نزل نادر و فريدة من المنزل وسط بكاء أمه في حرقه وكان السكان يطلون من النوافذ و يهمسون ، و اصحاب المحال التجارية يقفون أمام محالهم في دهشة ، ركب سيارته هو وفريدة وانطلق مسرعا نحو وسط المدينة .

\*\*\*

\*\*\*

في ظل زحام شوارع وسط البلد قبل ساعات الذروة، كانت الأجواء حارة والرياح هادئة، وسط همسات السيارات المارة ونبض المدينة. كانت فريدة، واقفة أمام منزلها، تمتلئ عيناها بالدموع والحزن، ونادر يحاول بصبر منحها الدعم، قائلًا بصوت مهدئ: "أمي العزيزة، ربما يمر كل شيء."

ردت فريدة بصوت عالٍ وبتردد: "ربما..."

لم يتحمل نادر هذا الصمت المولم، وظهرت علامات الضجر على وجهه، فقال بصوت أكثر حدة: "حسنًا، لنترك هذا الحديث."

تنفست فريدة بتعب وقالت بتردد: "حسنًا، لنلتقي لتناول الغداء."



أجابها نادر بحنان، محاولاً تخفيف التوتر: "نعم، في المساء."

أضافت فريدة بنبرة هادئة وبتصنع: "سأذهب أنا وأمي لزيارة عمتي."

قاطعها نادر بسرعة، محاولاً إنهاء الجملة قبل أن تنتهي: "في المساء أيضاً."

نظرت فريدة إليه بابتسامة صغيرة، وكانت عيناها تشعان بالدفع، ثم تكررت الابتسامة وهي تضحك، قائلة: "حسنًا، في المساء."

فتح نادر الباب لتركها تنزل، ولكن لاحظ من خلال المرايا أن هناك سيارة زرقاء تتبعهما بعيداً. أبطل محاولاته للتخلص منها بسرعة، فقرر التوقف عند شاطئ النيل، حيث وقف وجهه نحو الماء الراكد وهو يفكر فيما يحدث.

لم يمر وقت طويل حتى نزل الرجلان من السيارة الزرقاء وتقدما نحوه، وهو يراقبهم بترقب. وقفوا بجواره، فنظر نادر إليهم بنظرة استفهام، فسأل أحدهم بدهشة: "ماذا كانت تفعل معك فريدة؟"

ابتسم نادر بثقة، وأجاب بعفوية: "ليس من شأنكم."

حاول أحد الرجلين أن يمسك به من الأمام والآخر من الخلف، وأخذوا يتهددون. لم ينته الرجل من جملته حتى جذب نادر قدمًا حادًا نحو بطن أحدهم، مما أسقطه أرضًا، ثم تصدى للآخر وأسقطه أيضًا بحركة سريعة وماهرة.

حاول الرجلان الانتقام، لكنهما فرا هارين عندما سمعوا صفير سيارة الشرطة. توقفت السيارة أمام نادر، وطلب الضابط الموجود تحديد هويته برفق. بعد أن تأكد الضابط من هويته، أعاد البطاقة إليه وانطلقت السيارة الشرطة بصوتها الهادئ.

شعر نادر بالحاجة الملحة للتدخين بعد كل هذه المشاكل، لكنه تحكم في نفسه، قائلاً بصبر: "بعد قليل... بعد قليل."

\*\*\*

كان المعلم بدر يجلس في حي العتبة داخل حارة اليهود، حيث الزحام الشديد للباعة الجائلين والزبائن. الضوضاء العالية تملأ المكان، وأصوات الباعة الجائلين تتردد في الأفق. الحر الخانق يجعل الجميع يفقد أعصابهم. في أحد الممرات الضيقة، وصولاً إلى محل خردوات المعلم بدر، تعلق صورته الياقطة مع اسمه بالخط العريض. رجاله يقفون يبيعون للزبائن بجانبه.

وسط هذا الزخم، كان المعلم بدر جالساً في مخزنه، يشرب الشيشة ويداعب شاربه، وهو ينظر إلى اللوحة الفنية النادرة ويتأملها في صمت. دخان كثيف يتصاعد من فمه، وعيناه تلمعان بإعجاب، وهو يقول باتدهاش: "ما أجملك، ما أروعك، الجميع يريدك."

داعب خاتمه بإصبعه وأضاف وهو يضحك بصوت عالٍ: "آه، لو تسمح لي الحكومة بعمل مزاد علني وبيعها في ساحة عامة!"

ضحكاته ارتفعت وقهقهاته اهتزت بقوة، ثم هدأ قليلاً وداعب شاربه مرة أخرى وهو يتمتم ببعض الكلمات التي لا تفهم بسهولة.

صوت يحدث نفسه قانلاً: "ايهما تروق لي اكثر ، المطربة المشهورة نيلي فؤاد ام الفنانة المشهورة مديحة الشريف؟! " فسمع صوت اندروماليوس هاتفا من بعيد : " نيلي فؤاد رجاء."

رجاء! قالها بصوت عالي ولم يعقب ظل يداعب شاربه وهو يقول: " حسنا وهو كذلك."

\*\*\*

كان الجميع يعلم موعد التسليم في الإسكندرية، حيث الهواء الساخن يلف الميناء ليلاً، وعلى رصيف الميناء وقف الجميع بلا حراك، ينتظرون المعلم بدر بفارغ الصبر. صقر كان ينتظره في سيارته، وبجانبه تهاني الجبالي. وفي الجهة المقابلة من الميناء، كانت سيارة نيلي فؤاد مع اللواء محمد البدر اوي وجنوده المسلحين، بينما كانت سيارة جاك تراقب الأحداث من بعيد.

وصل المعلم بدر مع رجاله ووقفوا في مكان مكشوف، حيث نزل المعلم بدر من سيارته واتكأ على مقدمتها، يداعب شاربه بينما ينتظر بابتسامة لامعة. بدأت سيارة مديحة الشريف بالتحرك ووقفت أمامه، ثم انطلقت سيارة نيلي فؤاد ووقفت بجانبها. ساد الصمت والدهشة بين الجميع، وكان المعلم بدر ينظر إليهم بابتسامة طويلة وعينيه تتلألأ بالشوق.

نزلت نيلي فؤاد ووقفت أمامه بدهشة، وخرجت مديحة الشريف ووقفت تنظر إليه بتحدي. رحب المعلم بدر بالجميع، ثم ألقى نظرة على اللوحة وقال بثقة: "أنا أريد الزواج من صاحبة النصيب السري، ومن يدفع أكثر سيملك هذه اللوحة."

تبادل الجميع النظرات بدهشة وترقب، ثم سألت نيلي بصوتٍ متردد: "هل اللوحة معك حقاً؟"

أجاب المعلم بدر بثقة متنهداً: "نعم"، وأشار إلى رجاله ليحضروا اللوحة من السيارة. كشفوا الغطاء ببطء ليكشفوا اللوحة أمام الجميع. هناك كانت دهشة عامة، وانتبه المحقق نادر واقترب ليفحص اللوحة بدقة.

تنهدت نيلي فؤاد وقالت بصوتٍ منخفض: "حسناً، عليك أن تحضر قداحتي وسجانري."

هز المعلم بدر رأسه بالموافقة، ثم نظر إلى مديحة وهو يلعب بحاجبه ويبتسم لها، وهي تنظر إليه بتعجب وإعجاب في آنٍ واحد.

\*\*\*

نزل رجال نيلي فؤاد من سياراتهم وأطلقوا النار على رجال بدر، مما أسفر عن مقتل بدر ومديحة الشريف. خرجت نيلي من سيارتها برفقة اللواء محمد البدر اوي، حيث أمسك رجالها باللوحة التي أصبحت ملطخة بالدماء، وتغيرت ألوانها تحت أثر النزيف. بدأت الألوان تتلاشى واللوحة تتحول إلى كيان أسود يتصاعد كالدخان نحو السماء، وسط صرخات نيلي واحتضان اللواء لها في محاولة لاستعادة توازنها.

في الوقت نفسه، خرج صقر وأطلق النار على رجال نيلي، مما أسقطهم جميعاً، وقتل اللواء البدر اوي. هربت نيلي فؤاد إلى سيارتها وسط هطول الرصاصات المتفجرة، تاركة وراءها دماراً وخراباً.

وقف صقر أمام اللوحة التي لا تزال ترتقبه في صمت صدمته، وهناك سقط جاك مصاباً أرضاً. لم يكن هناك إلا الصمت المكثف الذي احتواه.

عادت سيارة نيلي فؤاد برفقة جاك، وهما نزلا من السيارة بابتسامة فخورة ومليئة بالانتصار. ظهر المحقق نادر فجأة وقد رفع سلاحه نحوهم، معبراً عن استعدادة للتصدي.

"تياً!"، قال جاك بضجر، ولكن نيلي ابتسمت بفخر وقالت: "لن ننتهي هنا، تفائل."

سخر المحقق نادر وأجاب بحدة: "إنتهينا، لقد حصلت في النهاية على اللوحة."

تعجبت نيلي وسألت: "ألن تتركنا؟"

"نعم"، أجاب نادر بثقة مطلقة، "أنتم على الخطأ، ومن يحاول لمسكم يهلك."

وقفت نيلي تصفق له بحرارة وقالت: "رائع، لا تنسى أن تحافظ على اللوحة بعناية."

"سأفعل ذلك"، أجاب نادر بتحدٍ واضح في صوته.

\*\*\*

فر المحقق نادر بكار بسرعة نحو سيارته، حيث كانت اللوحة ملقاة في الخلف. ركب بجانب فريدة رشاد، التي كانت ترتعش من الخوف بسبب إطلاق النار. بينما كانوا في السيارة، سأله بتوتر: "هل أنت بخير؟ هل نجحنا؟"

نادر أجاب بفخر وثقة ممتزجة بالتعبير عن الانتصار: "نعم، اللوحة معي."

بينما استعدوا للمغادرة، خرجت فريدة سلاحها من حقيبتها، متوجهة نحو قلب نادر. تفاجأ بما رأي، فأبدي استغرابه بعيون متسعة، ورفع حاجبة في تعجب وهو يتلعثم، متأثرة بالواقع الذي شهده للتو.

في هذا الوقت، وصلت سيارة نيلي فواد مع جاك، اللذان نزلا للتو من السيارة. وقفت نيلي تنظر إلي اللوحة بنظرة فخر وقوة من نافذة السيارة، وقالت بحنكة: "ضعيها في سيارة الخواجة في الخلف، ثم اركبي معي."

فعلت فريدة ما أمرت به، بينما انطلق جاك بسيارته، محملاً اللوحة. ثم تابعت نيلي بعبارة محفزة وتهديدية في آن واحد: "سيقوم جاك بإرسالها للخارج عبر أحد الحقائب الدبلوماسية. أما أنت، لا تجعلني أضطر إلى مواجهتك مجدداً، فإن فعلت فسأتخلى عن الرحمة في المرة القادمة. الآن أدركت حجمي وتعرف حجمك. وداعاً."

بدأت نيلي تسرع بسيارتها، محدثة دخاناً كثيفاً من تحرك إطارات السيارة على الأرض. وبينما ظل المحقق نادر بكار يقف في حالة من الصدمة الكبرى، عاجزاً عن التصرف أو التفكير بوضوح.

\*\*\*

بعد لحظات، تمت محاصرة المكان بالكامل من قبل رجال الشرطة، وبدأ رجال الإسعاف في رفع الجثث. ورحلت تهاني الجبالي قبل وصولهم جميعاً، ولم يكن المحقق نادر بكار قادراً على التعبير عن ما حدث. كان أشرف، مساعده، يحاول مرافقته والتحدث إليه، ولكن نادر بكار لم ينطق بكلمة، انصرف هادئاً إلى سيارته وانطلق، وسط دهشة الحضور.

فيما بعد، قرر نادر الاعتزال وتقديم طلب استقالة، إلا أنه تم رفضه. منحه مديره، رؤف الكاشف، إجازة مفتوحة، قائلة بضيق: "لدينا الكثير من الملفات التي لم تُغلق بعد، خذ الراحة التي تحتاجها، ولكن أعلم أنني لن أسامحك مرة أخرى."

مضت الأيام، ونادر ويلي يقضيان وقتهما في المنزل، كان يشعر بوجودها طول الوقت و يبكي و يتحدث معها . بدأ نادر يعود إلى اسوء عاداته في تدخين السجائر ونمت لحيته. كان يعاني من عدة مشاكل نفسية، والتحقيقات الصعبة التي مر بها كانت تؤثر عليه بشدة. كان يري كوابيس مستمرة دون توقف . وما جعلها يموت قهرا عندما راي اعلانات المطربة الشابة فريدة رشاد قد أصبحت نجمة كبيرة بين ليلي وضحاياها .

\*\*\*

في ليلة هادئة، وبينما كانت أنوار المدينة تتلألأ في الأفق، جلس نادر في غرفته، ينظر خارج النافذة إلى النجوم. كانت الذكريات تعصف برأسه، وكان يفكر في كلمات مديرته وتحدياته المستقبلية كمحقق.

فجأة، سمع نادر صوتاً خفيفاً في الممر خارج غرفته. تحسس نادر سلاحه الذي كان موضوعاً على الطاولة بجواره، وانتقل بحذر نحو الصوت. كانت ليلي تقف هناك، تنظر إليه بابتسامة خافتة على وجهها.

"ماذا تفعلين هنا؟"، سأله نادر بصوت هادئ وهو يفتح لها الباب.

"أردت أن أتأكد أنك بخير"، أجابت ليلي بلطف، وهي تدخل إلى الغرفة. "أعلم أنك مر بأوقات صعبة، وأردت أن أكون هنا معك."

نادر نظر إلى ليلي، وشعر بالامتنان تجاه وجودها. لم يكن يعلم كيف سيواجه المستقبل، لكن بوجود ليلي إلى جانبه، كان يشعر بأنه سيتجاوز كل تحدي.

وهكذا، وسط هدوء الليل، استقرت نظرة نادر ليلي على النجوم المضيئة خارج النافذة، كانت ليلي الشيطانية بين احضانه داخل أحلامه وهو ينام ويحتضن وسادته ويهمس باسم ليلي، كانت أمه تنظر إليه من باب الغرفة وهي تبكي على حالة.

طلبت أمه من أشرف أن يزوره في المنزل ويحاول إخراج نادر من حالته. بعد التردد، خرج نادر مع أشرف في نزهة قصيرة، محاولاً التغلب على الضغوطات النفسية التي كان يواجهها.

\*\*\*

في ليلة حاره، كانت السماء صافيه، كانت نيلي فؤاد يتجول وحيداً في حديقة منزلها الواسعة. كانت الذكريات تتلاطم في عقلها، وهي تفكر في كل ما مرت به في الفترة الأخيرة، من المشاكل القانونية إلى فقدان الأصدقاء المقربين.

فجأة، لاحظت نيلي شخصاً يتقدم ببطء في نهاية الممر. كانت الظلال تلفه ولم تستطع نيلي أن تميز ملامح وجهه بوضوح. كانت تشعر بالرعب والفضول في الوقت نفسه، مما دفعها لتوجيه خطواتها ببطء نحو الشخص المجهول.

"من أنت؟"، سألت نيلي بصوت هامس، محاولةً قدر الإمكان أن تكون صوتها ثابتاً.

الشخص أوقف خطواته وأخرج شيئاً صغيراً من جيبه، مما جعل نيلي تنفض وفجأة دوي صوت الرصاص في عنان السماء.

\*\*\*

في صباح حارق، ووسط صفير المروحة، كان نادر بكار جالساً في الصلاة يحكّ لحيته ويدخن سجائره وهو يقلب صفحات الجريدة بملل. فاجأته أخبارٌ مروعة عن مقتل الفنانة الشهيرة نيلي فؤاد، فأبدى تعبيراً عن الحزن والصدمة على وجهه، مستمراً في التفكير بكيفية الكشف عن تفاصيل هذه الجريمة الفظيعة.

فجأة، دق جرس الهاتف، فأجابه أشرف، مساعده الدقيق، بصوتٍ هادئٍ ومليءٍ بالألم: "جريمة قتل جديدة للمطربة المشهورة نيلي فؤاد. لدينا عمل اليوم يا نادر بيك، لا تتأخر."

رد نادر بصوتٍ هادئٍ ومتماسك: "سأكون هناك بعد خمس دقائق."

وبينما أغلق الهاتف، اشتعلت عيناه بالحماسة والقلق، مستعداً لمواجهة التحديات الجديدة التي تنتظره في هذه القضية المعقدة.

أن من ينخرط في المنظمات السرية الماسونية لن يسلم من الأذى حتى الموت. يظهر نادر بكار وهو يتابع حياته بعد الأحداث الدرامية التي مر بها، مدركاً تماماً الخطر الذي تشكله هذه المنظمات. يصبح هذا الإدراك نقطة تحول في حياته، حيث يقرر أن يبقى يقظاً وينبغي أن يفكر فيما يأتي لمنع وقوع كارثة مماثلة في المستقبل.

\*\*\*

تمت